

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



إلقاء الأستاذ الدكتور:

أيمن بن سعود العنقري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حيّاكم الله معاشر الإخوة والأخوات إلى البرنامج الأسبوعي (التوحيد أولاً).
وحديتنا بإذن الله في هذه الليلة موضوع مهم للغاية، ألا وهو (السحر).

التوسل المشروع والتوسل الممنوع.

وفي هذه الحلقة إن شاء الله سنتحدث عن موضوع مهم جداً وهو (التوسل المشروع والتوسل الممنوع)؛ وذلك لأنه يتصل صلة وثيقة بأعظم عبادة من العبادات وهي عبادة الدعاء. ولهذا جاء في حديث النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدعاء هو العبادة» ثم تلا قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، فجعل أعظم العبادة في الدعاء، ولهذا سنفصل بإذن الله تعالى في هذه الحلقة الكلام على التوسل بنوعيه؛ المشروع والممنوع مع ذكر الأدلة التي تُبيح هذا وتمنع هذا، وضرب الأمثلة المتعلقة بذلك.

التوسل للغة.

التوسل في اللغة: هو التقرب والتوصل إلى المطلوب برغبة، والوسيلة: هي القرية والسبب الموصول إلى المطلوب.

ولهذا يقول ابن منظور في لسان العرب مبيّناً معنى الوسيلة في اللغة، قال: "الوسيلة: المنزلة عند الملك" هذا أحد معانيها، "والوسيلة: الدرجة" هذا معنى آخر، "والوسيلة: القرية" هذا معنى ثالث، "ووسل فلانٌ إلى الله وسيلةً، إذا عمل عملاً تقرب به إليه" اهـ.

وقال الراغب الأصفهاني في [مفردات القرآن]: "الوسيلة: التوصل إلى الشيء برغبة" هذا معنى رابع، الرغبة، "وهي أحص من الوسيلة؛ لتضمّنها معنى الرغبة، قال الله تعالى:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥] اهـ.

وعليه؛ فقد تبين من خلال ما ذكره أهل اللغة أنّ الوسيلة تدور على خمسة معانٍ في اللغة

- هذه مهمة انتبهوا لها؛ لأن لها صلة في المعنى الشرعي:-

↔ المعنى الأول: القربة.

↔ المعنى الثاني: الدرجة.

↔ المعنى الثالث: المحبة.

↔ المعنى الرابع: الحاجة.

↔ المعنى الخامس: الرغبة.

↔ والتوسل إلى الله تعالى: هو التقرب إليه بالأعمال الصالحة والتقرب المشروعة.

هذه المعاني الخمسة تفيدنا في مفهوم التوسل شرعاً، وأنه لا يدخل فيه التوسل الممنوع بنوعيه؛ التوسل الممنوع كما سيأتينا: توسلٌ شرّكي، وتوسلٌ بدعي، فالمعاني اللغوية للتوسل هذه الخمسة لا يدخل فيها الاستغاثة بالأولياء ودعائهم ونداء الغائبين كما هو العرف عند القبوريين في مفهوم الوسيلة.

القبوريون في مفهوم الوسيلة يرون أنّها: الاستغاثة بالأولياء ودعائهم ونداء الغائبين. هذا التوسل الشرّكي، وسنفضّل صورته أو التوسل، أو التوسل البدعي وهو سؤال الله بجاه النبي أو بجاه الولي، كأن يقول: بحق سيدنا فلان، بجاه سيدنا فلان، بجرمة سيدنا فلان، بجرمة نبينا، وغيرها من الألفاظ التي سنبيّن أنّها من التوسل البدعي.

فمعرفة معاني التوسل في اللغة الخمسة يفيدنا أنّها لا يدخل فيها أنّها كلها دالة على التوسل المشروع كما سيأتي تفصيله، ولا يدخل فيها التوسل الشرّكي ولا التوسل البدعي.

إذاً: التوسل في اللغة يدور حول هذه المعاني الخمسة.

التوسل شرعاً.

في الشرع؛ التوسل: هو اتخاذ سبب مشروع يقرب إلى الله تعالى، وعبادة يُراد بها التوصل إلى رضوانه وبما شرعه على لسان رسوله وهو متعلقٌ بالدعاء، بأعظم عبادة وهي الدعاء، وذلك بأن يقرن الداعي في دعائه ما يكون سبباً في قبوله، يوسّط في دعائه إلى الله ما يكون

سبباً لمظنة ورجاء إجابة الله لدعائه، وذلك السبب لا بد أن يكون له دليل شرعي؛ لأن الدعاء عبادة، والعبادة مبناها على التوقيف والمنع، لا بد لها من دليل وإلا كانت بدعةً محدثةً شرعاً. ففي الصحيحين، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»؛ لا بد من دليل شرعي من نصوص القرآن أو من صحيح سنة النبي صلى الله عليه وسلم يدل على الصيغة المشروعة في التوسل.

التوسل المشروع.

نبدأ في النوع الأول وهو التوسل المشروع. التوسل المشروع: هو التوسل إلى الله جل وعلا بما جاء في نصوص القرآن وصحيح سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وهو ثلاثة أقسام:

القسم الأول: التوسل إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العُلا.

فإن من أعظم أسباب إجابة الدعاء: أن يقرن المسلم في دعائه لله جل وعلا ذكر اسماً من أسمائه أو صفةٍ من صفاته.

ودليل هذا النوع من التوسل: قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۗ﴾ [الأعراف: ١٨٠] أي: ادعوا الله متوسلين بأسمائه الحسنى.

ومن الأمثلة على هذا النوع من التوسل التي كان يدعو بها النبي صلى الله عليه وسلم: ✓ ففي [سنن الترمذي] أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أهمله وأحزنه أمر قال: «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث»، هنا توسل بماذا؟ بصفة من صفات الله جل وعلا وهي صفة الرحمة، توسل بما عليه الصلاة والسلام.

✓ ومن التوسل المشروع: قوله صلى الله عليه وسلم: «أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»، توسل بماذا؟ بالله وبقدرته، بصفة القدرة له سبحانه وتعالى.

✓ أيضاً من ما جاء في السنة مما يدل على مشروعية التوسل بأسماء الله وصفاته: قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن مسعود رضي الله عنها في [مسند الإمام أحمد] بسندٍ حسن: «ما أصاب أحداً قط همٌّ ولا حُزنٌ فقال: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أُمَّتِكَ،

نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِي حُكْمِكَ، عَدَلٌ فِي قَضَاؤِكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَتُورَ صَدْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرِحًا».

وجه الشاهد من الحديث في قوله: «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ» مما يدل على مشروعية التوسل بأسماء الله الحسنی سبحانه وتعالى.

أيضاً من أمثله: أن يقول المسلم في دعائه مثلاً: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله، لا إله إلا أنت، الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد: أن تقضي حاجتي، أن ترزقني، أن ترفع ما بي من مرض أو ما بي من ضُر.. إلى غير ذلك.

النوع الثاني من أنواع التوسل المشروع: التوسل إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة.

أن يقرن المسلم في دعائه إلى الله جل وعلا عملاً صالحاً كي يستجيب الله تعالى له؛ ليكون سبباً في حصول مطلوبه، كقوله مثلاً عند دعائه: اللهم بإيماني بك، وبمحبي لك، وباتباعي لرسولك محمد صلى الله عليه وسلم، وإيماني به وحيي له، أن تفرج عني وترحمي وتغفر لي. فيذكر المسلم بين يدي دعائه أي عمل صالح قام به؛ ليكون سبباً في حصول مطلوبه.

ودليل مشروعية هذا النوع من التوسل: قوله سبحانه وتعالى: ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ

وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ [آل عمران: ٥٣]، توسلوا إلى الله بإيمانهم

به.

ومن ذلك أيضاً: قوله: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا ﴿١٩٣﴾

[آل عمران: ١٩٣]، توسلوا إلى الله تعالى بإيمانهم به.

أيضاً من السنة مما يدل على مشروعية هذا النوع من التوسل: ما ثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «انطلق ثلاثة رهطٍ ممن كان قبلكم حتى آووا إلى غارٍ» دخلوا إلى غارٍ «فانحدرت صخرةٌ من الجبل على

الغار، فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا يُنجيكم من هذه الصخرة» يعني: من الخروج من الغار «إلا أن تدعوا الله جل وعلا بصالح أعمالكم» عمل صالح تتوسلون به إلى الله لكي يفرج عنكم ما أنتم فيه.

«فقال رجلٌ منهم: اللهم إنه كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً» يعني: يحلب من الإبل الغبوق (الحليب) حتى يسقيهما، وإثما ناما» ناما في ليلة من الليالي ولم يتمكن من إعطائهما اللبن، «قال: فوجدتهما نائمين، وكنت أكره أن أغبق قبلها أهلاً ولا مالاً» يعني: لا يمكن أن أعطي أهلي قبل والدي، شوف البر بالوالدين، «قال: فلبث والقدرح في يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء مرضاتك فافرج عنا ما نحن فيه» توسل إلى الله بیره بوالديه، فانفرجت الصخرة شيء يسير لكن لا يستطيعون الخروج.

«قال الثاني: اللهم إنه كانت لي بنت عم جميلة، وكنت أحبها وأردتها عن نفسها» أرادها بالحرام «حتى أملت بها سنة من السنين» أصابها فقر وحاجة «قال: فعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تُخلني بيني وبين نفسها، ففعلت» استغل حاجتها وفقرها «حتى إذا قدرت عليها قالت لي: لا أحلُّ لك أن تفض الخاتم إلا بحقه، فتخرجت من الوقوع عليها، فانصرفت عنها وهي أحبُّ الناس إليّ، وتركت الذهب الذي أعطيتها» توسل إلى الله الآن بتركة للزنا، «اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء مرضاتك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة شيئاً يسيراً لكن لا يستطيعون الخروج».

«قال الثالث:» -متوسلاً بعملٍ صالح- «اللهم إني استأجرت أجراً، فأعطيت كل واحدٍ أجره إلا رجل، ذهب من نفسه ولم يأخذ أجره، فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله، أدِّ إليّ أجري، قال: كل ما ترى أجرك» شوف حفظ حقوق الناس، أدّى حقوق الناس «من الإبل والغنم والرقيق، قال: يا عبد الله، أتستهزئ بي! قال: لا أستهزئ بك، هذا حقك خذه، فاستأقاه ولم يترك منه شيئاً، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء مرضاتك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة» توسل إلى الله جل وعلا بإعطائه لعماله حقوقهم، بعمل صالح، قال الراوي: فانفرجت الصخرة وخرجوا يمشون.

سبحان الله! كل واحد منهم توسل إلى الله بعمل صالح، فقبل الله منهم هذه التوسلات وفرج عنهم الصخرة وخرجوا.

النوع الثالث من التوسل المشروع: التوسل بدعاء الرجل الصالح الحي، لا الميت، والتوسل بدعائه لا بجاهه ولا بحرمته ولا بحقه.

انتبهوا؛ القيود: التوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح الحي، كأن تأتي لرجل صالح وتطلب منه الدعاء، تقول له: ادعُ الله لي، يعني: يقع المسلم مثلاً في ضيق أو في مصيبة ويعلم من نفسه التفريط، فيذهب إلى رجل صالح يقول له: ادعُ الله لي أن يفرج عني هذه المصيبة وهذا الكرب، هذا من التوسل المشروع، وقد دلَّ على مشروعيته الكتاب والسنة:

أما الكتاب: فقوله تعالى حكايةً عن أبناء يعقوب عليه الصلاة والسلام: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ (١٧) قَالَ سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٨﴾ [يوسف: ٩٧-٩٨].

ومن السنة: ما ثبت في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، لما دخل الأعرابي إلى النبي عليه الصلاة والسلام وهو يخطب الجمعة - قائم على المنبر - قال: يا رسول الله، هلكت المواشي وانقطعت السبل، فادعُ الله أن يُغثنا - طلب من الرسول الدعاء -، رفع النبي عليه الصلاة والسلام يديه وقال: «اللهم أسقنا، اللهم أسقنا، اللهم أسقنا».

قال أنس: "فلا والله ما نرى في السماء من سحابٍ ولا قزعة، وما بيننا وبين سَلْعٍ سَلْعٍ: جبل مشهور في المدينة من بيتٍ ولا دار، فطلعت من ورائه سحابةً مثل الثُّرس، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت"، قال: "والله ما رأينا الشمس سبتاً أسبوع كامل" ثم دخل هذا الرجل على النبي عليه الصلاة والسلام في الجمعة المقبلة من نفس الباب وهو يخطب عليه الصلاة والسلام، فاستقبله قائماً وقال: يا رسول الله، هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادعُ الله يُمسكها عنا"، فقال عليه الصلاة والسلام رافعاً يديه: «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الْكَامِ وَالظَّرَابِ وَبُطُونِ الْأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ»، "فانقطع المطر وخرجنا نمشي في الشمس".

ومن ذلك: توسل الصحابة رضي الله عنهم بالعباس ابن عبد المطلب رضي الله عنه، ففي [صحيح البخاري] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا -أصابهم الجذب في المدينة- استستقى بالعباس بن عبد المطلب، ليس بذاته ولا بحقه ولا بجرمته كما يقوله الخرافية والصوفية القبورية، لا؛ وإنما بدعائه، قال: "اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقيننا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا، قم يا عباس فادعُ الله لنا".

📖 ما وجه الدلالة من هذا الحديث؟ وجه الدلالة منه: أن عمر رضي الله عنه عدل عن التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو بين ظهرائهم -قبره في المسجد النبوي- إلى الرجل دعاء الرجل الصالح الحي، لماذا؟ لِعَلِمِهِ أَنَّ التوسل بالميت قد تعدّر وانقطع بموته، وأنه ليس بمشروع.

إذاً التوسل المشروع ثلاثة أنواع:

- ✓ النوع الأول: التوسل إلى الله جل وعلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى.
- ✓ النوع الثاني: التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة.
- ✓ النوع الثالث: التوسل بدعاء الرجل الصالح الحي؛ هذا هو التوسل المشروع.

🔪 التوسل الممنوع.

القسم الثاني: التوسل الممنوع؛ وهو التوسل الذي لم يدل عليه دليل لا من القرآن، ولا من صحيح سنة النبي صلى الله عليه وسلم، ويمكن أن نقسّمه إلى قسمين:

- القسم الأول: التوسل البدعي.
- القسم الثاني: التوسل الشركي.

أمّا **التوسل البدعي**: وهو أن يسأل الله بغير أسمائه الحسنى وصفاته العلى، سواءً كان ذلك الغير ميتاً أم غائباً أم حاضراً، وسواءً كان توسلاً به، يعني: بذاته أو بجاهه أو بجرمته أو إقساماً به، فهذه سبع صور للتوسل البدعي الممنوع.

يعني **مثلاً** كأن يقول -وهذا نسمعه الآن من كثير، خاصة أنا أسمع من بعض إخواننا الحجاج والمعتمرين يأتون من خارج هذه البلاد-: بجاه سيدنا النبي، بجاه سيدنا عبد القادر،

بجاه كتاب ربنا، بجرمة الحسين، بجرمة سيدنا فلان، بحق فلان، كل هذا من التوسل البدعي الممنوع.

أيضاً من الأمثلة عليه: اللهم إني أقسم عليك بفلان أن تقضي حاجتي، هذا لا يجوز؛ هذا من التوسل البدعي الممنوع الذي لم يدل عليه الدليل، بل الدليل على خلافه وعلى منعه. فسؤال الله جل وعلا بجاه أحدٍ من خلقه، كأن يقول مثلاً: اللهم إني أسألك بجاه نبيك أو بجاه الولي الفلاني أو السؤال بذات فلان، من أمثله: سؤال الله جل وعلا بحق نبيه، أو بحق أحدٍ من عباده، كأن يقول مثلاً: اللهم إني أسألك بحق نبيك عليك أن ترحمني وتغفر لي، هذا لا يجوز.

صورة ثالثة: الإقسام على الله بالمتوسّل به، كأن يقول: اللهم أقسم عليك بفلان أن تقضي حاجتي، هذا لا يجوز، هذا من التوسل البدعي الممنوع، وسبب منعه عدة أمور:

① **الأمر الأول:** أنه لا مناسبة بين سؤال الله تعالى بجاه النبي أو الولي وبين إجابة دعاء هذا السائل، فكأن هذا القائل كمّا يقول: أسألك بجاه نبيك، كأنه يقول: لكون فلان من عبادك الصالحين أجب دعائي.

هذا من الاعتداء في الدعاء؛ ما مناسبة كون جاه فلان ينفعك في دعائك إلى الله جل وعلا؟! وجاه فلان له، يخصّه هو لوحده، لا مناسبة بين جاهه وذاته وبين سؤالك بجاهه الله جل وعلا، ولهذا قال الله جل وعلا: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

② **الأمر الثاني:** أن الصحابة رضي الله عنهم - وهم أعلم الناس بالتنزيل - فهموا من التوسل: التوسل بدعاء الرجل الصالح الحي، لا التوسل بالذات، ولا التوسل بالجاه.

فعمّر رضي الله عنه توسّل بدعاء العباس بن عبد المطلب، قال: "اللهم إنا كُنّا نتوسل إليك بنينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا، قم يا عباس فادعُ الله لنا؛ ولهذا عدل عن التوسل بذات النبي عليه الصلاة والسلام وبجاهه مع أن قبره بين ظهرانيهم في المسجد النبوي، وعدل عن ذلك لعلمه أنه تعذّر بموته.

ولهذا يقول الألويسي في تفسيره كلاماً جميلاً، الألويسي يقول في الكلام على عدول الصحابة عن ذلك: "وحاشاهم أن يعدلوا عن التوسل بسيد الناس إلى التوسل بعمه وهم يجدون أدنى مساعٍ لذلك؛ فعدّوهم - مع أنهم السابقون الأولون وهم أعلم منّا بالله وبحقوق الله ورسوله، وما يُشرع من الدعاء وما لا يُشرع، وهم في وقت ضرورةٍ ومخمصة - دليلٌ واضح على أنّ المشروع ما سلكوه لا ما تركوه" يعني: دون غيره.

③ الأمر الثالث: أن قول القائل: أتوسل بفلان أو فلان، جمعٌ بين ذاتين ليست وسيلة ولا طريق توصل وتجمع أحدهما بالآخر، فكأن هذا القائل لفظاً لفظاً لا معنى له، بمعنى من سرد الأحرف الهجائية.

يعني: لا اتصال بين ذات المتوسّل والمتوسّل به حتى يُجمع بينهما، لا بد من جامعٍ يتوسّل به، مثل: حُب الرسول صلى الله عليه وسلم، الإيمان بالله سبحانه وتعالى؛ حتى يكون التوسّل مشروعاً، إذاً التوسل البدعي الممنوع حُرّم لهذه الأمور الثلاثة.

التوسل الشركي الممنوع.

نواصل الحديث عن القسم الثاني من التوسل الممنوع، تحدثنا عن التوسل البدعي الممنوع، وذكرنا منعه بالأدلة وبما سبق ذكره، وذكرنا أمثلة عليه.

التوسل الشركي الممنوع: هو دعاء الأولياء والأنبياء والصالحين والاستغاثة بهم ونداء الغائبين.

وهذا التوسل الشركي قد حاولت حصر صورته من خلال ما كتبه أهل العلم المتقدمين والمعاصرين، صور هذا التوسل الشركي والأمثلة عليه، يمكن أن نوجز صور التوسل الشركي في ستة صور، ستة صور نوضح بها التوسل الشركي وأيضاً ما يجوز فيه، يعني مثل: في موضوع الاستغاثة المباحة أو الجائزة، سنذكرها مع الأمثلة وبيان وجه منعه.

١) المرتبة الأولى من صور التوسل الشركي: أن يسأل الميت حاجةً أو يستغيث به

فيها؛ كأن يقول: يا سيدي فلان أغثنني، أو انصربي على عدوي، أو مدد مدد يا سيدي يا رسول الله، أو مدد مدد يا حسين، أو مدد مدد يا عبد القادر الجيلاني، أو مدد مدد يا بدوي،

أو غير ذلك من الألفاظ الشركية، وقد يطلب من الميت غفران الذنوب وقضاء الحاجات، أو تأتي المرأة التي لم تحمل فتطلب من صاحب القبر أن تحمل، هذه المرتبة لها صورتان:

• الصورة الأولى: أن يأتي هذا الشخص إلى الميت عند قبره، يقف شبك القبر أو أمام باب القبة، كالذي يقع من الزائرين عند الأضرحة والمشاهد؛ حيث يصرخون ويستغيثون بصاحب القبر -نعوذ بالله من الشرك الأكبر-، يقولون: يا أيها الولي الفلاني، أنا ببابك، أرجو منك أن تفعل لي كذا وكذا.

• الصورة الثانية: أن يسأل الميت ويستغيث به من مكان بعيد ومسافات شاسعة، يعني: بينه وبينه مسافات كبيرة، وهذا غالبًا يكون عند أصحاب الطرق الصوفية، مثل: المريد والسالك في الطريق الصوفي يسأل شيخه من مسافات بعيدة، هذا في الغالب -نداء الغائبين، من خلال قراءتي في كتب التصوف وطبقات الصوفية- يكون عند أصحاب الطرق الصوفية، يستغيث برجل من بعيد، يعني: يظن أن له قدرة على سماع ما يستغيث به.

حكم هذه المرتبة.

هذه المرتبة من الشرك الأكبر المخرج من دائرة الإسلام؛ لثلاثة وجوه:

① **الوجه الأول:** أن الداعي في هذه المرتبة نادى غير الله، ووجه طلبه إلى غير الله طالبًا كشف ضره أو جلب نفع له، مما لا يقدر عليه إلا الله، وهذا الدعاء هو العبادة، وصرفه لغير الله شرك أكبر.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا

يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ [المؤمنون: ١١٧]، سُمِّيَ مَنْ دَعَا غَيْرَهُ: سَمَّاهُ كَافِرًا.

② **الوجه الثاني من وجه كونه من الشرك الأكبر:** أن هذا الداعي اعتقد في المدعو قوة

غيبية وتأثيرًا بهذه القوة التي ليست من جنس قوة البشر.

يعني: اعتقد في هذا المدعو أنه يقدر على إيصال النفع أو دفع الضر بقوة غيبية لا تُرى ولا

تُلمس الأشياء، يعني الملامسة المعروفة لدى البشر، وهذه الصفة خاصة بالله، لا تليق بغيره سبحانه وتعالى.

③ **الوجه الثالث** - تزيد الصورة الثالثة التي عند أصحاب الطرق الصوفية النداء من أماكن بعيدة بوجه ثالث في كونه من الشُّرك الأكبر: - أنَّ الداعي اعتقد علم الغيب والسمع والبصر المحيطين لغير الله جل وعلا؛ لأنه يناديه من مكان بعيد، وهذا الاعتقاد صرفٌ لصفات الجلال والجمال التي لا تليق بغيره سبحانه، ولا يمكن أن يتصف بها أحدٌ سواه. هذه المرتبة الأولى.

② **المرتبة الثانية من التوسل الشُّركي: أن يسأل الحي الغائب ويُناديه ويستغيث به من أماكن بعيدة.**

وصورتها مثلاً: يسأله مساعدته في ضائقة مالية، عنده ضائقة مالية، عليه ديون، فيسأله، فهذه الصورة من الشُّرك الأكبر، لماذا؟ لأنه اعتقد علم الغيب لغير الله، اعتقد أن هذا الولي أو شيخ الطريقة يعلم الغيب الذي استأثر الله به، يعلم أنه عليه دين، هذه العلة الأولى. الثانية: أنه اعتقد سماع المدعو لنداء الغائب وصراخه وغوثره، وهذا يقتضي أن له سمعاً محيطاً شامل للداعي وأحواله، يعني: يعتقد أن شيخ الطريقة الصوفية هذا - شيخ الشاذلية، أو التيجانية، أو البريلوية، أو غيرها - يسمع ويُحيط بالكون كله، وهذا ترى عند البريلوية لاحظته.

فرقة البريلوية - وهم غلاة الصوفية القبورية في شبه القارة الهندية في الهند وباكستان - من أخص عقائدهم: يعتقدون أن النبي صلى الله عليه وسلم حي حاضر ناظر، حي ما مات، واللي يقول: إنه مات، هذا مُشرك كافر عندهم؛ حاضر: يحضر معهم في الحضرة، في المولد، ناظر: يشاهد الكون ويطلع على الكون، هذا نصُّوا عليه، أحمد رضا بريلوي نصُّ عليه وهو مؤسس الفرقة البريلوية، هم غلاة الصوفية القبورية.

③ **المرتبة الثالثة: أن يسأل الحي الحاضر.**

هذا له صورتان:

❁ الصورة الأولى: أن يسأل الحي ما يقدر عليه بقدرته البشرية المحدودة -محدودة في الطاقة-، حي حاضر قادر سأل سؤال، هذا جائز، هذه استغاثة جائزة.

دليلها: قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [القصاص: ١٥]، فموسى عليه الصلاة والسلام يستطيع بقوته البشرية أن يُغيث الرجل الذي استغاثه من عدوه ويُنقذه منه وهو حاضرٌ معه.

وجه الاستدلال من الآية الكريمة على ذلك: ما ذكره الشيخ الإمام/ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، وهو من أئمة الدعوة في نجد، وهو من المحققين من أئمة الدعوة، هو حفيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، له كتاب نفيس في الرد على داود بن جرجيس -القبوري المشرك- الذي أثار الشُّبه في توحيد الإلهية.

كتاب الشيخ عبد اللطيف -وأنا أوصي بقراءته واقتنائه- اسمه [منهاج التأسيس في الرد على شُبه داود بن جرجيس]، من أهل العراق، أتى إلى نجد ولَبَسَ في شُبهات القبوريين على الدعوة السلفية في نجد، فردَّ عليه الشيخ ردًّا جميلاً رائعاً.

قال الشيخ/ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن في بيان وجه الاستدلال من الآية الكريمة: "الدليل من الآية: ترك إنكاره وسياقه على وجه التقرير، لم يُنكر الله جل وعلا على مَنْ استغاث بموسى" أفرَّه على ذلك، هذا وجه الاستدلال من الآية الكريمة.

❁ الصورة الثانية لهذه المرتبة: أن يسأل الحي الحاضر ما لا يقدر عليه إلا الله.

حي حاضر ما هو ميت ولا هو غائب، لكن لا يقدر عليه إلا الله، مثل: شفاء المريض؛ مريض سأل واحد قال: اشفني، أو اكشف كربى، يعني: لا يقدر عليه الإنسان بقوته البشرية، هذا من الشُّرك الأكبر؛ لأن الدعاء عبادة وقد صرفها الداعي لهذا المدعو العاجز.

٤) المرتبة الرابعة من مراتب التوسل الشُّركي: أن يسأل الميت أن يدعو الله له.

وانتبهوا لها يا إخوان، الصور السابقة الثلاثة سأل الميت مباشرة: يا رسول الله أغثني، يا حسين المدد المدد، يا عبد القادر الجيلاني اقض حاجتي، اقض ديني، اشفني، سألته مباشرة، الصورة هذه لا؛ فيه توسط، أن يسأل الميت أن يدعو الله له.

يعني يقول مثلاً: يا رسول الله، ادعُ الله لي، ما دعا الرسول مباشرة وإنما وسَّط الرسول في دعائه لله عز وجل، يا رسول الله، ادعُ لي أن يقضي ديني، ادعُ الله لي أن يفرج عني كربتي ومصيبتِي، هذه الصورة من الشرك الأكبر، وإنما ركزت عليها لماذا؟ لأن هناك من المعاصرين مَنْ يخطئ في فهم كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، يظن أن هذه الصورة من البدع وليست من الشرك الأكبر، لا، هذه من صور الشرك الأكبر، وقد نصَّ عليها شيخ الإسلام ابن تيمية في مواضع من كتبه، أكتفي بموضع واحد: نصَّ عليها في [اقتضاء الصراط المستقيم]، ونصَّ عليها في [جامع المسائل]، ونصَّ عليها في كتابه الرائع [قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة].

فنقرأ كلام شيخ الإسلام في كتابه [قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة].

يقول رحمه الله في ص(٢٤) من الطبعة المحققة، قال عن القبورين: "وقد يُخاطبون الميت عند قبره، أو يُخاطبون الحي وهو غائب، كما يُخاطبون لو كان حاضراً حياً، ويُشددون قصائد، يقول أحدهم فيها: يا سيدي فلان، أنا في حسبك، أنا في جوارك، اشفع لي إلى الله" انتبه للعبارة: اشفع لي إلى الله، ما دعا مباشرة، "سل الله أن ينصرنا على عدونا" ما سأله هو، ما سأل الولي، إنما طلب من الولي أن يسأل الله له، "سل الله أن يكشف عنا هذه الشدة، أشكو إليك كذا وكذا.. إلى غير ذلك".

قال شيخ الإسلام -بعد أن ذَكَرَ هذه الصورة في [قاعدة جليلة]-: "فهذه الأنواع من خطاب الملائكة والأنبياء والصالحين بعد موتهم عند قبورهم وفي مغيبهم وخطاب تماثيلهم، هو من أعظم أنواع الشرك الموجود في المشركين من غير أهل الكتاب، وفي مبتدعة أهل الكتاب والمسلمين الذين أحدثوا من الشرك والعبادات لم يأذن به الله".

إذاً كلامه صريح؛ لأن بعض المعاصرين فهم أن الشيخ يرى أن هذه بدعة.

الشيخ في موضع -على ما أظن- في [مختصر الفتاوى المصرية] قال: "أن هذه الصورة من البدعة"، ماذا يقصد بها؟ أنها بدعة شركية، لكن قصد بالبدعة بمعناها اللغوي: أن هذه الصورة ما كانت موجودة عند كفار العرب في الجاهلية؛ كفار العرب كانوا يدعون الأصنام مباشرة، يطلبون منها مباشرة، ما كانوا يدعونها بالتوسُّط، يعني يوسِّطونها في أنها

تدعوا لهم إلى الله، كانوا يدعونها مباشرة أن ترفع مباشرة، فالشيخ قصد بالبدعة: أن هذه الصورة لم يكن جنسها موجود عند كفار العرب في الجاهلية.

٥) المرتبة الخامسة من مراتب التوسل الشركي: أن يسأل الحي الغائب أن يدعو الله له.

حي موجود غائب أن يدعو الله له، وهذا - كما قلت - يفعله كثير من المريدين في شيوخهم من أصحاب الطرق الصوفية؛ في الشاذلية، والقادرية، والتيجانية، والمولوية، والنقشبندية، والبريلوية، وغيرهم من أصحاب الطرق، هذه الصورة - من خلال قراءتي في كتب طبقات الصوفية وكتب التراجم - تكثر عندهم، أن السالك في الطريق الصوفي أو المريدي ينادي شيخه من أماكن ومفاذات بعيدة، يتفانى بعضهم في تعظيم شيخه حتى يظن أن شيخه يعلم به وبأحواله وعمراده - نعوذ بالله من الشرك الأكبر -، فإذا وقع في شدة نادى شيخه من أماكن بعيدة.

ومن الأمثلة التي مرت عليّ في بيان هذه الصورة (أن يسأل الحي الغائب أن يدعو الله له): في البريلوية؛ البريلوية يكثر هذا عندهم.

يعني: وقفت على النصوص مما ذكره الشيخ/ إحسان إلهي ظهير رحمة الله عليه في كتابه [البريلوية عقائد وتاريخ]، ذكر رحمه الله تعالى في هذا الكتاب: أن أحمد رضا بريلوي كان يرى هذا، يعني: يرى أن الإنسان إذا وقع في شدة وفي كرب وفي مصيبة أن يستغيث بالأولياء، يناديهم.

يعني مثلاً: هم في الهند أو في باكستان، ينادي عبد القادر الجيلاني، عبد القادر قبره في العراق، مدفون في العراق، يناديه من هناك، أو يكون مثلاً في مكة أو في الهند أو في باكستان فينادي النبي عليه الصلاة والسلام؛ أصلاً شركهم جاوز الألوهية، في الربوبية يعتقدون أن الرسول صلى الله عليه وسلم نائب مطلق عن الله في تصريف الكون - نعوذ بالله من ذلك -؛ حتى أبو جهل ما وقع في هذا، أبو جهل شركه في الألوهية، غالب شرك الأمم إنما هو في الألوهية، في شرك الوساطة والقربة وليس في شرك التأثير والإيجاد والاستقلال، هؤلاء زادوا،

فأحمد رضا بريلوي يقول: "إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم نائب مطلق عن الله في تصريف الكون" نعوذ بالله.

فالقصد من هذا: أي من خلال قراءتي عن هذه الفرقة وغيرها، حتى الطرق الصوفية الأخرى كالشاذلية، لَمَّا تقرأ في طبقات الشاذلية، تقرأ مثلاً [الطبقات الكبرى] للشعراني، تقرأ مثلاً في [الجامع في كرامات الأولياء] للنبهاني، تجد في التراجم: الاستغاثة، نداء الغائبين، يكثر هذا عند أصحاب الطرق الصوفية.

٦) المرتبة السادسة والأخيرة من مراتب الدعاء: أن يسأل الحي الحاضر أن يدعو الله

له.

يعني: هذا كالذي يقع من المؤمنين بعضهم مع بعض، طبعاً هذه الصورة ما تدخل في التوسل الشركي، وإنما هذه تدخل في التوسل المشروع الذي ذكرنا قبل قليل، لكن ننبه إلى أن لها قيدين، يعني مثلاً شخص يأتيك يقول لك: يا فلان ادعُ الله لي.

نقول: هذا جائز لكن بشرط أن يقصد بهذا الطلب أمرين:

الأمر الأول: انتفاع الداعي بهذا الدعاء؛ لأنه يحصل له مثل دعائه، فهو عندما يأمره بالدعاء له يقصد أن يحصل الداعي في هذا الأجر، أن فلان يُثاب على دعائه له؛ للحديث الوارد أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «**لا يدعون أحدكم لأخيه في ظهر الغيب إلا وملكٌ يقول: ولك بالمثل**»، فهو ينوي حينما طلب منه أن له أجراً في دعائه له.

الأمر الثاني: انتفاعه باستجابة الله دعاء ذلك الداعي له.

فبهذين القيدين، يعني: أنه يرجو انتفاع الداعي بهذا الدعاء، والثاني: انتفاعه باستجابة الله تعالى، استجاب الله عز وجل لطلبه للدعاء عندما طلب منه، وهذا أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتابه النفيس [قاعدة جلية في التوسل والوسيلة].

بهذا نكون قد أتينا على صور التوسل الممنوع بنوعيه: التوسل البدعي، والتوسل الشركي، وذكرنا الأمثلة والصور والأدلة على التحريم والمنع.

✍️ الكتب المهمة في موضوع التوسل.

بقي أن أُشير إلى بعض الكتب المهمة في موضوع التوسل أُوصي باقتنائها وقراءتها:
أهم كتاب تكلم بتفصيل وبكلامٍ نفيس في موضوع التوسل هو للإمام -مجدد مذهب أهل السنة في القرن السابع والثامن- شيخ الإسلام/ ابن تيمية رحمه الله تعالى في رسالته [قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة]، وهذه الرسالة العظيمة موجودة في [مجموع الفتاوى] الجزء الأول، رسالة نفيسة جداً قرّر فيها التوسل المشروع والممنوع.

كتاب آخر جيد في هذا الباب وتميّز بأسلوب سهل، أسلوبه سهل ويسير على الناس؛ لأنه تكلم بلغةٍ معاصرة، كتاب الشيخ/ محمد نسيب الرفاعي، هذا كتاب رائع جميل، اسمه [التوصل إلى حقيقة التوسل] للشيخ/ محمد نسيب الرفاعي رحمه الله، من أئمة السلفية حلب، كان ممن جدّد في مذهب أهل السنة في الشام، كتابه رائع ونفيس، وكما قلت: تميّز أنه بلغةٍ سهلةٍ يسيرة.

أيضاً من الفتاوى المهمة في هذا الباب: فتاوى شيخنا العلامة الشيخ/ محمد بن صالح بن عثيمين، الشيخ محمد مُحَرَّر، يُحرّر رحمه الله، دقيق الفتوى، في الجزء الأول من مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن عثيمين، مطبوع، طبعة/ دار الثريا، الشيخ محمد سئل عدة أسئلة في التوسل المشروع والممنوع في الجزء الأول من مجموع فتاوى ورسائله، فيها كلام نفيس رائع على طريقة الشيخ رحمة الله عليه في تحرير المسائل.

فهذه بعض المراجع المتعلقة بموضوع التوسل، سواءً كان توسلاً مشروعاً أم كان توسلاً ممنوعاً بنوعيه: التوسل الشركي والتوسل البدعي، ولا شك أن أهمية هذا الموضوع كونه يقترن بأعظم عبادة وهي (عبادة الدعاء).

أيضاً لا بد من القراءة والتنبه للشبهات في التوسل؛ هناك بعض الكتب التي كتبت عن الشبهات -شبهات القبورين- في توحيد الإلهية ومنها: التوسل.

وأعظم رسالة مختصرة أُوصي بقراءتها وبقراءة بعض شروطها: رسالة الشيخ المجدد الإمام/ محمد بن عبد الوهاب [كشف الشبهات]، يا إخوان هذه رسالة عظيمة مباركة، والله ذكر فيها الشيخ اثنا عشر شبهة، ناقش فيها شبهات القبورين، وهذه الشبهات تتكرر إلى زماننا،

هذه الرسالة الصغيرة الصغيرة المبني كثيرة المعنى، والله من أعظم الكرامات للشيخ أنه أُلّف هذه الرسالة المباركة في نقض شبهات القبوريين في توحيد الإلهية، أوصي بقراءتها، وقراءة بعض شروحها.

من أعظم شروحها المباركة:

➤ شرح سماحة الشيخ/ محمد بن إبراهيم، طَلَعَهَا الشيخ/ محمد بن قاسم شرح نفيس.

➤ شرح سماحة الشيخ/ عبد العزيز بن باز، نفيس.

➤ شرح سماحة الشيخ/ محمد بن صالح بن عثيمين.

➤ من شروحها المتميزة أيضاً وأوصي بقراءته: شرح فضيلة الشيخ/ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، شرحه نفيس على [كشف الشُّبُهَات]، والشيخ حفظه الله تَمَيَّز بالدقة، الشيخ دقيق ومفيد، لا يتكلم بلغة العموم والإجمال، شرح الشيخ/ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ على [كشف الشُّبُهَات] أيضاً أوصي باقتنائه وقراءته، ففي إن شاء الله ما يكفي في رد شبهات القبوريين في توحيد الإلهية.

هذا باختصار ما يتعلق بموضوع (التوسل المشروع والتوسل الممنوع).

التقيكم بإذن الله تعالى في الأسبوع القادم

أستودعكم الله، سلام الله عليكم ورحمته وبركاته.